دنيا الورد

الورد في زمن القتل والسيارات المفخخة !

سعد محمد رحيم

في لحظة شطط شعري لا يعني الشاعر الفرنسي سان جون بيرس ما تسببه الحرب من هول إنساني ، ولا يقلقه سوى مصير نوع من الورد: (من ينقذ من زحف الجيوش نوعاً هجيناً بالغ الندرة من فصيلة الورد؟). والتفكير بمصير الورد في زمن الحرب هو انتصار للجمال على حساب قسوة الإنسان ، وانحياز لبراءة الطبيعة ضد الوحشية التي هي صناعة بشرية بامتياز.

هناك من تتلبسه تلك اللحظة المشتطة فيغادر غير آسف فوضى العالم ليبتكر جنته الخاصة ويختلي بها ، وأولئك الذين يقضون وقتهم كله داخل حدائقهم الصغيرة ، لا بد من أنهم قبضوا على سر لحظة بيرس جاعلين منها زمناً ممتداً يحوي في إهابه معنى غير ذاك الذي يحويه زمننا الاعتيادي.

الهرب إلى الورد

لا أدري ما الذي دفعني لأقول لسائق التاكسي؛ استدر من هنا. وذاك لم يكن يفضي إلى هدفي الذي أخبرته عنه في البدء.. لم يعترض.. اتخذنا الطريق الزراعي المحاذي لنهر ديالى، وعند بوابة بستان قلت له؛ قف.. لحظتها كنت أشعر بصداع خفيف بعد ساعة قضيتها أمام شاشة التلفاز متنقلاً بين نشرات الأخبار التي تبثها الفضائيات، فقد جعلتني صور الدم والقتل منقبض النفس ، دائخاً، ومشوشاً.. دلفت من البوابة المفتوحة لأجدني بين أصص النباتات والورد.. فوجئ صاحب المكان السيد إحسان مطر بدخولي؛ أهلاً أستاذ سعد.. قلت له؛ والله يا أبا أثير فكرت أن أكتب تحقيقاً صحافياً من نمط آخر، عن موضوع لا علاقة له بالتفجيرات والسيارات المفخخة والكوارث، وسأبدأ من هنا.

ومن هناك شرعت بتحرياتي عن الورد/ الورد في زمن الموت المجاني. فحين يطغى مشهد الدم والرعب على العالم تقف إزاءها صورة الوردة نداً طبيعياً لا يقهر.

السيد إحسان مطر مصور شهير في بعقوبة أمضى زمناً طويلاً في ممارسة هذه المهنة غير أنه مع خانق حقبة التسعينيات في العراق قرر، هو الذي يحمل روح الفنان، وشهادة جامعية في الزراعة، أن يبتعد إلى حيث الاختلاء في مملكة الورد.. لم يكن همه تجارياً، كما يقول، غير أنه كان ينشد طمأنينة البال مع شيء تهواه نفسه.

حدثني السيد مطر عن عالم الورد المدهش وكيف ينتعش ويكون أكثر نضارة مع الموسيقى، فالمشاتل التي تنبث الموسيقى في جنباتها تمنح ورداً أزهى وأحلى. وللورد حياته الاجتماعية، فحين تؤخذ وردة ما، من محيطها، وتنقل لتبقى وحدها نفاجأ بها تذبل وتموت حتى وإن جرت العناية بها، بينما في مستعمرة الورد وبقية النباتات الظلية فإن كل نبتة تستأنس بجيرتها مع قرِيناتها فتراها أكثر حيوية وبهاء. كذلك أخبرني عن أسماء بعض النباتات الظلية منها (كراتون ومارنتا وكف الوزة واللبلاب وقفص صدري والدراسيميا بأنواعها والبيكونيا بأنواعها. أما الشمسية فتحوي أنواعاً كثيرة منها الورد/ الروز بأنواعها وأشكالها وألوانها، والداودي وهي من زهور القطف ومنها ١٨٠٠ نوع. والجربرة والقرنفل وغيرها. بعد ذلك تطرق السيد مطر إلى عمليات التهجين التي تعطي نتائج مدهشة، وعلى سبيل المثال فإن أشجار الفاكهة كالرمان والبرتقال تحول إلى نباتات صغيرة بثمار ضئيلة الحجم توضع في أصص للزينة. وثمة مختبر يتم إجراء عمليات التهجين فيه فضلاً عن مكتبة زراعية، داخل المشتل، يرجع إليها لتوسيع معلوماته بهذا الجانب.

بعد خروجي من المشتل كنت منشرح النفس وبلا صداع، وقد بقيت ملاحظة للسيد إحسان قالها بشكل عابر ترن في ذهني؛ حياة الفلاح تكون في الغالب أطول من غيره.

ورد بعد التقاعد

بعد إحالته على التقاعد تنبه عدنان علي للمرة الأولى إلى فقر حديقة داره.. فالمساحة الواسعة المتروكة أمام الجزء المبني من الأرض لا تحوي إلا على بضع شجيرات يكاد العطش يفتك بها، وتحاصرها من كل جانب نباتات طفيلية.. كانت صبيحة يوم من أيام الخريف، وكل شيء يوحي بالكآبة والخسران. ولأنه ذو طبيعة تغلب عليها روح التصميم، فإذن لم يكن من شيمته أن يستسلم أبداً، لكنه في هذه المرة فوجئ بهوى في نفسه اعتقد لزمن طويل أنه ضمر وتبدد.. لقد انبجس في دخيلته الشغف القديم بالزرع، بعدما كان في يفاعته يحلم أن يكون مزارعاً. وها هو ذا يحيل الحديقة إلى فردوس صغير يضج بالألوان والعطور والخضرة النابضة. ومن يشاهد حديقته هذه لابد من أن يوقن بأن وراء صيرورتها هكذا روحا مترفة ومبدعة. فحدائق مثل هذه هي لوحات تشكيلية، أو هي سمفونيات مجسدة في شكل مادي، أو هي قصائد.. لم لا؟.

يقول عدنان؛ استعدت مع هذه الحديقة صحتي النفسية وحيويتي.. لقد خلقت العقود الأخيرة في نفوسنا صدأ وهباباً، ولا شيء يعيدنا إلى طبيعتنا بمثل جمال الورد، والخضرة.. الحديقة ليست جماداً، بل هي أنثى رائعة، يمكنك أن تحاورها.. صدقني، أنا أتكلم مع الورد، وأسمعه.. إن له لغته الخاصة وهي اللغة الأجمل في العالم.

يسفح الورد أريجاً.. يسفح ندى وموسيقى، ويحرض فينا فكرة الاستحواذ.. أن يكون هذا الجمال لنا، يفضح أنانيتنا الخفية، إذ نمد أصابعنا لنقطفها، وهو أيضاً يرمز بشكل ما لنرجسيتنا، فمع نرسيس كما تقول الأسطورة الإغريقية القديمة تحولت الذات المعجبة بنفسها إلى زهرة نرجس.

تحظى الوردة بالشكل الأقرب إلى الكمال، ولعلها أكثر من أي شيء آخر في هذا العالم تستدرجك إلى الحلم، وتكشف عن مسارب لا تضاهى للخيال.. إنها الوردة توحي بالأنوثة في ذروة فتنتها وصفائها وعذوبتها ورقتها وحلاوتها وسحرها. فالوردة كناية عن الأنثى المبرأة من كل عيب (وهل هي كائنة؟.) ومجاز فريد في إهاب لغة كونية عناصرها ليست الكلمات. واستعارة طرفها الآخر رعشة الروح.

لا يتفتح تحت كابة دخان البارود ، ولا يبتسم لقلوب شغافها من جلد الجواميس!

ثلاث حكايات

وقعت وأنا بصدد هذه الرحلة في دنيا الورد على ثلاث قصص شخصيتها الرئيسة (الورد) حكاها لي ثلاثة أشخاص أحسب أن لا أحد منهم يعرف الآخر، لكن الورد أعطى كلا منهم في ساعة حاسمة معنى جديداً للحياة.

حكاية / ١:

كنت أحمل ورداً.. باقة صغيرة من الورد، أخذتها من حديقة بيت عمتي. يقول وائل محمود. فوجئت وأنا في الطريق بشابة صغيرة جميلة تطلب مني وردة.. أعطيتها وردة.. ابتسمت، ولما ابتسمت أدركت سر الأنثى للمرة الأولى (لكن هل أدركته أبداً؟.) فشيء ما قد تغير في.. شيء على صعيد كيمياء الجسد، أو في مملكة الروح.. كانت مشاعر مختلطة من فرح وقلق ورضا، واحساسات متناغمة من العسير وصفها.. قلت؛ إذن هذا هو ما يسمونه الحب.. كنت في الحادية عشرة أو الثانية عشرة، وكانت تكبرني بسنتين أو ثلاث.

في اليوم التالي، في الوقت عينه، جئت بباقة أخرى انتقيتها هذه المرة بعناية خاصة، إلا أن الفتاة لم تكن هناك.. شعرت بالحزن والإحباط. وفي الأيام التالية لم تكن هناك أيضاً.. كانت مثل طيف عابر سرعان ما تلاشى،. وخلال أيام قليلة، بفضل تلك الوردة كنت قد خبرت، فضلاً عن الحب، عذاب ومرارة الفقدان.. هكذا وجدتني أمام أفق جديد لحياتي، فقد جعلني الورد أغادر نوعاً ما طفولتي، ولعله جعلني، كما أشعر الآن بعدما بلغت الخامسة والأربعين، بأنني لم أغادره قط.

حكاية / ٢:

كنت أحبها وهي لا تدري، كان حباً من طرف واحد. يقول علاء عبد الصاحب. سنتان وأنا أهيم عشقاً بها، وأحس بأن ألف حاجز يفصلني عنها.. أراها كل يوم، في قاعة المحاضرات، وفي أروقة الكلية.. أراقبها عن بعد، وحين أغادر الكلية أبقى أحلم بها حتى اليوم التالي.. لا أريد أن أقول لك كم كانت جميلة.. كانت جميلة في كل شيء.

ذات يوم قيل لي هي مريضة وراقدة في المستشفى .. ذهب بعض الطلاب والطالبات لزيارتها.. لم أذهب معهم.. قررت أن أذهب وحدي.. كانت تلك فرصة لا تعوض.. قلت؛ ماذا يجب أن أحمل لها من هدية؟. ولجت وأنا أجول في السوق محلا لبيع الزهور.. حملت لها باقة رائعة، انتقتها لي، بعدما أخبرتها عن غايتي، بائعة شابة.

فوجئتُ حين دخلت غرفتها وحدي.. كانت هناك أختها.. لم نتكلم كثيراً.. وأظنها فهمت الأمر كله لحظتها.. وبعد أن برئت، وعادت إلى الكلية تكلمنا مرة أخرى وأخرى وأخرى.. كان الورد رسولي إليها. وهي الآن زوجي.

حكاية / ٣:

حكاية مضر علي ذات مسار سردي مغاير، تأخذ الوردة فيها موقع البؤرة، وتكتسب دلالة من نمط مختلف.

يقول مضر؛ في منتصف الثمانينيات كنت سجيناً في إحدى الدوائر الأمنية ببغداد بتهمة لا أعرف ما هي.! كنت أطل من كوة باب زنزانتي على جزء من حديقة مهملة.. كان النظر من الكوة ممنوعاً، غير أنني كنت أخرق هذا القانون، وأسترق النظر خلسة لثوان على الرغم من معرفتي أن هذه المجازفة يمكن أن تكلفني تعذيباً وإهانات.

المهم أن في هذه الحديقة كانت شجيرة ورد جوري غير مشذبة، تحمل في قمتها العالية وردة واحدة حمراء، جعلتها في لحظة ضعف ورجاء تميمتي.. صار هاجسي؛ أن ذبول هذه الوردة وتساقط أوراقها يقربني من إطلاق سراحي.. كانت الوردة لحسن الحظ هناك كبيرة ونضرة ورشيقة.. قلت في تواطؤ مع نفسي ومع القدر أن بقائي في السجن مرهون بديمومة الوردة، وأنا هنا موجود من أجلها، ومع اختفائها لن أبقى في هذا المكان.

وشيئاً فشيئاً كانت الوردة تذبل، وشيئاً فشيئاً كنت أقترب من الحرية.. هكذا كنت أحلم، وهكذا أردت أن أصدق وهمي، وكان هذا الوهم يمنحني طمأنينة لا تحد.

ذات صباح اختلست النظر، ولم تكن الوردة هناك.. وعند الظهيرة جاء الحرس وأخرجوني من الزنزانة.. شدوا عيني بعصابة وقادوني إلى مكان ما.. لم أكن خائفاً على الرغم من أنني لم أكن أعلم ما الذي كانوا يريدونه مني.. بعد ذلك نزعوا العصابة، وهمس أحدهم في أذني؛ أبشرك، إطلاق سراح.

ما كان ذاك؟. أية مصادفة؟. أية قدرة على استكناه ما يحدث؟. أو كأنني كنت بقوة داخلية غريبة أسيّر الأشياء بهذا الاتجاه؟. أو أنني. وهذا ما أرجحه. كنت أرى أن الوردة وأنا ليس مكاننا ها هنا، وإن علينا، معاً، أن نخرج بطريقة أو بأخرى.

في المعجم:

في المعجم، وردَ الماء أو غيره صار إليه،وورد الشجر أخرج وردا، والورد: الزعفران. الأسد. الشجاع الجريء. والورد من الخيل ما كان أحمر اللون إلى صفرة.

عطر الوردة سرها، وبالعطر تعبّر الوردة عن ذاتها.. تؤكد وجودها في الكون. وهذا التنوع الهائل في العطور دالة عافية وقوة، وتجلٍ لثراء الروح. وهناك عدد كبير من المفردات التي تعني عطر الورد أو تشير إليه منها (الأريج، العبير، الشذا).

والوردة موسيقى ساكنة تحاورك عبر إيقاعها الخفي، تعيدك إلى ذاتك إذ تخلق تناغماً من نوع غير مألوف بينك وبين العالم. وعلى الرغم من أن الوردة شكل ومنظر وصورة إلا أنها تفصح عن قوتها اللحنية المسكوت عنها بقدر ما تتجلى شكلاً ومنظراً وصورة.

هكذا يروث الورد

يقول الشاعر والصحافي أديب أبو نوار؛ اصمت.. اصمت، الورد يتكلم.. قلت لك ذلك، الورد يتكلم فهو مكان الروح من قطب المرأة إلى قطب الأرض، وهو سلامة أرواحنا في بياضها أينما أطل الضباب وتألقت الفراشة.. هل تعتقد أن الفراشة وحدها تعرف قصة الورد؟. أنا قلت لك هل تعتقد؟. ثم أقول لك بود؛ لو لم يكن الورد عند ضفاف أيامنا ماذا كنا سنفعل؟. ثم أحكي لك؛ منذ زمن بعيد لم أكن قريباً من الورد.. كتبت قريباً من الشجر الفخم فهو معادل روحي بشكل مطلق. خذ جميع الورد، أنت والفراشات وأترك على مقربة مني خضرة اليوكالبتوس.. أنظر، أنظر إلى بهاء الشكل ونكهة الورق. ثم أقول لك؛ انقلني إلى الكازورينا إلى التوت إلى الصنوبر. فقط أبعدني عن النخلة فهي شكل لا يبهج روحي وأعدني إلى الورد. فقط إلى القرنفل.. لا تنس هذا.. فقط إلى القرنفل.

وتستمد هيفاء شاكر روعة أحلامها في الزمن الصعب من شكل الوردة. هكذا تقول. فليس عطر الوردة هو ما يجذب روحها بل شكلها ولونها، وهي تعشق زهور الربيع أيضاً، ولا سيما شقائق النعمان.. وتقول عن الوردة بأنها أغاني الطبيعة.

محامٍ متشائم: الورد في العراق يأخذ حمرته الآن من دمائنا المسفوحة!

ويحلم الكاتب عبدالستار زنكنه بأسعد لحظات حياته فيراها في الجلوس على مصطبة داخل حديقة، والنظر إلى الزهور وإلى جانبه الراحلة أسمهان تشدو أغنيتها الرائعة ((يا بدع الورد))، ثم يكمل الراحل فريد الأطرش المشوار بأغنيته الخالدة ((يا زهرة في خيالي)). حيث يرقص قلبي طرباً ويغمرني إحساس جميل بأني أنظر. والقول له. إلى الوجوه الساحرة للنساء، ومعذرة من هذا التشبيه، فأنا إنسانياً ضد معادلة أربع نساء برجل واحد.

ويضيف زنكنه؛ قبل ربع قرن تجولت في حدائق (فيينا) وخرجت بقناعة أن النمساويين بدءوا بناءهم الإنساني من الزهور. والزهور لا تتفتح تحت كآبة دخان البارود، ولا تبتسم لقلوب شغافها من جلد الجواميس.

الوردة/ المرأة

يلخص الدكتور محمد علي غناوي رؤيته إلى الوردة بعبارة واحدة؛ أجمل ما خلق الله سبحانه وتعالى المرأة أولاً، ومن ثم الشجرة، وأجمل ما في الشجرة وردها.. وكذلك الشاعر مصطفى محمود الذي يكشف عن العلاقة الخفية بين الوردة والمرأة فيقول؛ انطباعي عن الوردة هو انطباعي عن الأنثى، فنظرتي لكليهما هي النظرة ذاتها.. ليس من السهولة التقرب للاثنين فللوردة شوكها أيضاً. وكذلك الأمر مع الشاعر الدكتور عدنان يعقوب الذي يكشف عن سر آخر للعلاقة بين الوردة والمرأة.. يقول؛ محاولات النساء كلها هي تقليد للوردة.. الألوان الزاهية في الملابس ولا سيما عند القرويات اللواتي هن أقرب إلى عالم الطبيعة وكذلك الغجريات حيث يجعلن ملابسهن في شكل طبقات كما هو عليه شكل الوردة.. إنهن. أقصد النساء عموماً. يقلدن الوردة في الشكل واللون ليكن أكثر جاذبية.

وفيما تعطي الوردة لها عبدالله إحساس الانشراح والتدفق؛ (كأنني أحلم أن أصير وردة حين أفرح، وأشعر بالرجفة في داخلي) فإن إنعام حسين تحكي عن إحساس مناقض؛ أحزن كلما تأملت في صورة الوردة أو شممت عطرها.. لأنني أشعر عندها بأن هذه الوردة في طريقها إلى الذبول والسقوط فأمتلئ بالشفقة على نفسي أيضاً، لأنني في طريقي إلى الذبول والموت أيضاً.. هذا هو قانون الحياة القاسي.

ويقول المحامي والكاتب طه الدليمي؛ أعتقد أن محبتنا للطبيعة والحياة والجمال لا تبدو مكتملة ما لم تقترن بمحبة الورد والهيام به، وأن الشاعر الذي يعنى بالورد لا بد من أن تكون قصيدته عاطرة وساحرة.

وتقول الصحافية نادية جبار؛ شيء ما احس به يتدفق في روحي وأنا أرى الورد يتفتح في حديقة منزلي.. لا أدري كيف أعبر عن سعادتي وأنا أشم وردة غرستها بأصابعي.. الوردة تختزل الأشياء الجميلة كلها. وحين أنظر إليها أشعر وكأنها أنا.. إنها تعبير مباشر عن معنى الأنوثة.

ويقول الدكتور سعد عبدالمجيد؛ ما توحي به ألوان الورد لا يعنيني، غير أن الوردة تذكر الإنسان في زحمة الحياة بالأمل والطموح والجمال والتجدد.. إنها تجعلني أتفاءل وتريني إمكانية تحقيق الجمال على الرغم من الهموم السياسية والاقتصادية، فهي تخرجني من لحظة الهم الإنساني إلى الحلم، وتؤكد لي ضرورة وجود الجمال في العالم.

ويرى الدكتور عدنان الجبوري في الوردة رسالة محبة.. يقول؛ الوردة تجعلني أطمئن على الحياة والمستقبل، فهي تعبير عن السلام والاطمئنان والاستقرار. وكذلك الدكتور باسل أحمد يجد في الوردة مثالاً للجمال فهي ترمز للمرأة وللمحبة.. ويقول؛ جوهر الوردة لطيف لأن منظرها وعطرها حلو، فهي حياة مستقرة ومتحركة في الوقت نفسه.

وفي السياق عينه يتحدث المحامي حسين فاضل الطائي فيقول؛ في هذه الزحمة والفوضى نادراً ما يفكر إنساننا بالورد، إلا أن الورد بما يحويه من معان جمالية يُخرج الإنسان إلى عالم آخر ويعطيه بصيص الأمل.

غير أن المحامي صالح سعدون صالح ينظر إلى الورد من ناحية مختلفة فيقول؛ الورد، في العراق، في هذا الزمن، يأخذ حمرته من دمائنا المسفوحة.. ولا يعلّق بشيء آخر. وما قاله، أظن أنه لا يحتاج فعلاً إلى أي تعليق آخر.

وتقول هند جميل؛ أعرف الإنسان من نظرته إلى الوردة، فالإنسان الذي لا يثير الورد في نفسه أحاسيس مرهفة لا أعده إنساناً. وهؤلاء الذين يقتلون بدم بارد أو يؤذون الناس، قطعاً، لا يعني الورد لديهم أي شيء.

للكاتب الإيطالي امبرتو إيكو رواية شهيرة بعنوان (اسم الوردة)، ومن يقرأ هذه الرواية لن يجد رابطاً مباشراً بين المحمول الدلالي للرواية والوردة واسمها، وحين سئل إيكو عن مغزى هذه التسمية قال أنه أعطى روايته هذا العنوان (اسم الوردة) لأن الوردة لا اسم لها.

هكذا، في فضاء شاسع وغامض وخلاب، تسبح الوردة وجوداً وتكويناً ومغزى كونياً وقوة محرضة على إحالة أشياء هذا العالم إلى شعر وموسيقى.

أشجار البرتقال والرمان تحوّل إلى نباتات صغيرة بثمار ضئيلة توضع في اصص الزينة

تحت الضوء..

ورود حقيقية

أحمد السعداوي

لا شيء أكثر من الورود في حياتنا، فمن أسماء المحال والبضائع إلى كلمات الأغاني والقصائد.. إلى اللوحات والأقمشة والأغطية وورق التغليف وورق النشاف (الكلينكس) إلى أسماء الفتيات.. كجلنار ووردة وورود وكلناز (اسم كردي) وصن كول.. وهو اسم تركماني يعني وردة الصباح أو ما شابه ذلك.

ومن ذلك كله إلى أشكال الخواتم الفضية والذهبية والأقراط وميداليات القلائد إلى أكرة الأبواب والمقابض والنقوش الخشبية على الأبواب والآثاث.. وليس أخيراً غابات الورود البلاستيكية والقماشية مختلفة الأنواع التي تمتلئ بها محال الاكسسوارات في بغداد.

وأكاد أزعم بأن بيتاً قد يكون خالياً من أي مظهر من مظاهر الزينة، ولكنه غير محروم من أثر لوردة هنا أو هناك، حتى وإن كانت في تخطيطات طفل على ورق يرسم (رسمته) الأولى.

هذه الهيمنة للورد في حياتنا باعتبار الوردة رمزاً يكاد يكون مطلقاً للجمال والنعومة والرقة.. بل رمز للحياة في توهجها وألقها. يشكل مفارقة حين نعرف أن أكثر الأشياء اختفاءً وندرة في حياتنا أيضاً.. هي الورود!

العراق كما هو معروف ليس بلداً منتجاً للورود والزهور.. بمعناها التجاري كما في مصر وشمال أفريقيا، التي تعتمد صناعة العطور الفرنسية على ما يردها من هذه المناطق من (محاصيل) ورودية! وبالذات ورود الفل، ولكن العراق على الرغم من ذلك كان معروفاً بمحال الزهور الطبيعية المنتشرة في شوارع العاصمة والمدن العراقية الأخرى، هذه المحال التي توفر في العادة وحتى وقت قريب، شتلات الجوري ودم العاشق للحدائق المنزلية، وتوفر كذلك باقات (بوكيهات) الورود لمن يطلبها في المناسبات المختلفة.

كما إن الزهرية (الفازة بتفخيم الزاي) كانت مرتبطة بهذه التجارة، فلا وجود لزهرية من دون زهور، ولكن الأمر تغير لتغدو الزهرية وقد تعودت فراغها الموحش في صالة أو غرفة ربما مليئة برسوم الزهور والورود على الجدران والسجاد والأغطية والأفرشة وكل شيء، حتى في النقوش الملونة على الزهرية نفسها.

كما ان منطق التعامل مع الورود اندحر بضربات متلاحقة أمام منطق التعامل مع الخبز، وأصبحنا تحت وطأة عوامل شتى نعيش في عالم مليء بأشباح الورود وصورها، من دون ورود حقيقية، فقناني العطور المنوعة تمنحنا روائح ورود بعيدة، وباقة الورود البلاستيكية في الصالة أو غرفة النوم تمنحنا صورة خالدة لزهور لا تذبل مطلقاً.

سيسخر من حديثي الكثيرون، فأين نحن من الورود الآن؟ إن الحياة العراقية تتجه وبعنف نحو وجهة معاكسة لعالم الدعة والنعومة والبراءة والجمال الذي تمثله الوردة، وهي تسحق باندفاعها العنيف هذا حتى الورود الصناعية، وترسم بالدماء والسخام وروداً كابوسية بشعة.

ولكن اندفاع الحياة العراقية هذا، هو بالضبط خروج على منطقها وتحطيم لتقاليدها التي كانت تكرس (قيم) الوردة أكثر فأكثر في نواحي الحياة، وتسعى لجعلها قيماً أساسية.

أذكر أن بستانياً عجوزاً خائر القوى ركض ورائي لمسافات طويلة وظننت أنه لن يتركني لأنني قطعت وردة صفراء كبيرة من حافة لوح طولي من الورود الصفر كان يؤطر إحدى الحدائق في الزوراء إبان منتصف السبعينيات. ما فعلته أنا الطفل الصغير كان جريمة بعيني هذا البستاني العجوز.

الجريمة الأخرى هو ألا تبقى زهرة واحدة (مهما كانت صغيرة) في حدائق الزوراء بعد ذلك بعدة سنوات.

أذكر إننا أخذنا دروساً عملية على كيفية القطع المائل لغصن الوردة قبل وضعها في كأس الماء.. وكيف نجعلها أكثر نضارة، أخذنا دروساً على زرع هذه الورود أيضاً في الأصص والسنادين إن لم تكن لدينا حدائق، تعلمنا أسماءها وميزنا بين بذورها، ولكن ذلك كله لم يعد (نافعاً!!) الآن، ولا ألوم رسام الكاريكاتير الذي رسم رجلاً يهدي زوجته في عيد زواجهما باقة من الفجل أو الكرفس، مبرراً ذلك بأنه (أنفع) و (يغذي) أكثر، وأعتقد أن السبب الأصلي هو عدم وجود مكان يبتاع منه باقة زهور (حقيقية) صغيرة. كما إن الشعار الشهير (إزرع ولا تقطع) انقطع ذكره ولم يعد له أثر منذ سنين عدة، ولربما استخدم في التشجيع على عدم الإيفاء بالمواعيد لا أكثر!

زراعة واقتناء الورود يشترك فيها الريفي والحضري، وهي لا تدل على الرومانسية والعاطفية فحسب، كما إن أرض العراق هي أرض ورود، ودعونا لا نركز كثيراً على المظاهر الترابية والغبارية في حياتنا، فكل ذلك كان جنة خضراء في يوم ما، والذي يشك في هذا الكلام فليذهب إلى بغداد العباسيين وليطالع النقوش والمنحوتات البابلية والسومرية، فلينتبه إلى قرط الملك آشور بانيبال ذي الوردة السباعية الأوراق فقط.

إن اليد التي تداعب الوردة سترتجف كثيراً حين تحمل السلاح، وربما لهذا السبب يبدو السلاح في أيدينا الآن أنعم من الحرير، يبدو الدم أكثر احمراراً وإثارة من وردة جلنار تفتحت للتو..

لقد قضينا على الورود الحقيقية (بنجاح!) وربما إذا أزددنا قسوة سنقضي على تلك المزيفة والصناعية ولربما سننتقل بعدها إلى الورود المجازية.. وهي - كما يبدو - ورود لا يمكن حصرها أو عدها في حياتنا.